سلسلة مفاهيم يجب أن تصحح

١٣

كلمة هادئة في

# فهم السلف للأحاديث الموهمة للتشبيه

بقلم الدكتور
عمر عبد الله كامل

دار الرازي

كلمة هادئة في

# فهم السلف

# للأحاديث الموهمة للتشبيه

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

سلسلة أفهموا يجب أن نصحح

١٣

كلمة هادئة في

# فهم السلف للأحاديث الموهمة للتشبيه

بقلم الدكتور
عمر عبد الله كامل

دار الرازي

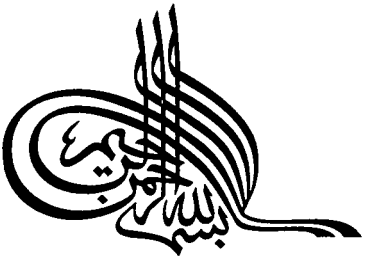
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين من أُوتي جوامع الكلم، أبلغ البلغاء، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن آيات وأحاديث الصفات قد أخذت حيزاً كبيراً من مناقشات المسلمين في العصور الأخيرة، وكنا نود أن نشير إلى موقف سلف الأمة وعلمائها السابقين من هذه الآيات والأحاديث، وأسلوب فهمها عن طريق عرض نماذج من كلامهم في تفسير هذه الأحاديث، وتأويل ما أشكل من ألفاظها وكتبُ التفسير والحديث طافحة بهذه النماذج ، ولا مفّر من التأويل إلا إلى التشبيه، كما قال بعض العلماء[1]:

---

(١) الشيخ نجم أبو الفتح نصر الله بن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي، في كتابه «إشارة النبيه في كشف شُبَهَ أهل التشبيه»، من تعليقات الإمام الكوثري على «دفع شبهة التشبيه» لابن الجوزي ص ٢٦٢ ط. دار الكتب العلمية، ضمن مجموع كتب الكوثري.

« ... ومن قال: لا أقول بالتأويل ولا أشبه: فقد تأول؛ لأنه إذا عدل عن معنى النزول عنده، ومعنى اليمين في حديث «الحجر الأسود» يمين الله في الأرض، إلى غير ذلك؛ فقد تأول ، فلا محيص لكم عن التأويل بحال».

ومن هنا يتبين أن السلف والخلف مؤوِّلون؛ لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ، ولكن تأويل السلف إجمالي؛ لتفويضهم المعنى المراد إلى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي؛ لاضطرارهم إليهم لكثرة المبتدعين.

وقد أحببنا أن نعرض نماذج لفهم هذه الأحاديث مقسمة على ثلاثة أقسام:

الأول: أحاديث توهم التجسيم ونسبة الجوارح إليه –تعالى.

الثاني: أحاديث توهم الحركة والانتقال.

الثالث: أحاديث توهم من الانفعالات النفسية.

## الأول: أحاديث توهم التجسيم ونسبة الجوارح إليه تعالى

### أحاديث الصورة:

١ - عن عطاء بن يزيد الليثي: أن أبا هريرة أخبره: أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ:«هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبع مّن كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا

جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه ... »الحديث[1].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

«قوله ﷺ: (فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون ... فيتبعونه):

اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين:

أحدهما - وهو مذهب معظم السلف، أو كلهم-: أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته، مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق. وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم، وهو أسلم.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٨٠٦، ٤٥٨١، ٦٥٧٤، ٧٤٣٨، ٧٤٤٠)، مسلم (١٨٢).

والقول الثاني - وهو مذهب معظم المتكلمين-: أنها تتأوّل على ما يليق بها حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله؛ بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضة في العلم...

وأما قوله ﷺ: (فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون):

فالمراد بالصورة هنا الصفة. ومعناه: فيتجلى الله -سبحانه وتعالى- لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها. وإنما عرفوه بصفته- وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى- لأنهم يرونه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، وقد علموا أنه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته؛ فيعلمون أنه ربهم، فيقولون: أنت ربنا. وإنما عبر بالصورة عن الصفة؛ لمشابهتها إياها، ولمجانسة الكلام؛ فإنه تقدم ذكر الصورة»[1] اهـ.

نقل الإمام البيهقي في كتابُ «الأسماء والصفاتِّ» عن الإمام الحافظ أبي سليمان الخطابي أنه قال:

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي ٣/ ١٩-٢٠، ط. دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

«وأما ذكر الصورة في هذه القصة فإن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه: أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة؛ فإن الصورة تقتضي الكيفية، وهي عن الله وعن صفاته منفية. وقد يتأول معناها على وجهين:

أحدهما: أن تكون الصورة بمعنى الصفة، كقول القائل: صورة هذا الأمر كذا وكذا، يريد صفته، فتوضع الصورة موضع الصفة.

والوجه الآخر: أن المذكور من المعبودات في أول الحديث إنما هي صور وأجسام كالشمس والقمر والطواغيت ونحوها، ثم لما عطف عليها ذكر الله سبحانه خرج الكلام فيه على نوع من المطابقة[1]، فقيل: يأتيهم الله في صورة كذا؛ إذ كانت المذكورات قبله صوراً وأجساماً. وقد يحمل آخر الكلام على أوله في اللفظ ويعطف بأحد الاسمين على الآخر والمعنيان متباينان، وهو كثير في كلامهم، كالعمرين، والأسودين، والعصرين، ومثله في الكلام كثير.

---

(١) أي: المجانسة والمشاكلة.

ومما يؤكد التأويل الأول. - وهو أن معنى الصورة الصفة - قوله من رواية عطاء بن يسار، عن أبي سعيد :« فيأتيهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها»[1]، وهم لم يكونوا رأوه قط قبل ذلك؛ فعلمت أن المعنى في ذلك الصفة التي عرفوه بها.

وقد تكون الرؤية بمعنى العلم ، كقوله: ﴿وأرنا مناسكنا﴾ [البقرة :١٢٨] أي: علّمنا.

قال أبو سليمان: ومن الواجب في هذا الباب أن نعلم أن مثل هذه الألفاظ التي تستشنعها النفوس إنما خرجت على سعة مجال كلام العرب ومصارف لغاتها، وأن مذهب كثير من الصحابة وأكثر الرواة من أهل النقل الاجتهاد في أداء المعنى دون مراعاة أعيان الألفاظ، وكل منهم يرويه على حسب معرفته، ومقدار فهمه، وعادة البيان من لغته ، وعلى أهل العلم أن يلزموا أحسن الظن بهم، وأن

---

(١) البخاري (٤٥٨١، ٧٤٤٠) ومسلم (١٨٣).

يحسنوا التأني لمعرفة معاني ما رووه، وأن ينزلوا كل شيء منه منزلة مثله ، فيما تقتضيه أحكام الدين ومعانيها، على أنك لا تجد -بحمد الله ومنّه- شيئاً صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ إلا وله تأويل يحتمله وجه الكلام، ومعنى لا يستحيل في عقل أو معرفة» اهـ.

ثم روى الحافظ البيهقي عن علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه أنه قال: إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا برسول الله ﷺ أهيأه وأهداه.

وروى -أيضاً- عن علي وعبد الله بن مسعود - رضي عنه عنهما- أنهما قالا: إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذي هو أهيأ وأهدى وأتقى[1].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث كلام النووي عن الصورة وأقره.

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي، ص ٢٩٦-٢٩٨.

وعند قوله ﷺ «فإذا جاء ربنا عرفناه» ذكر أن القرطبي قال: ثم يقال بعد ذلك للمؤمنين: «هل بينكم وبينه علامة؟».

قال ابن حجر: وهذه الزيادة -أيضاً- من حديث أبي سعيد، ولفظه: «آية تعرفونها[1]؟ يقولون: الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد [لله] رياءً وسمعة ...»[2]، .. وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن، [عن أبيه، عن أبي هريرة - عند ابن منده]: «ثم يطلع -عز وجل- عليهم، فيعرفهم نفسه، ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني. فيتبعه المسلمون»[3].

---

(١) الذي في لفظ الحديث: «تعرفونه»، ولم يشر الحافظ في «الفتح»، في شرحه إلى أنها رواية.

(٢) البخاري (٧٤٤٠).

(٣) «الإيمان» لابن منده ٢/ ٧٩٦(٨١٥)، ط مؤسسة الرسالة: والترمذي (٢٥٥٧)، وفيها: «فيقوم المسلمون».

وقوله في هذه الرواية: «فيعرفهم نفسه» أي: يلقي في قلوبهم علماً قطعيًّا يعرفون به أنه ربهم سبحانه وتعالى. وقال الكلاباذي في «معاني الأخبار»: عرفوه بأن أحدث فيهم لطائف عرفهم بها نفسه.

ومعنى كشف الساق: زوال الخوف والهول الذي غيّرهم حتى غابوا عن رؤية عوراتهم». اهـ[1].

روى مسلم في «صحيحه»[2] عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته».

قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

«قال المازري: هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت، ورواه بعضهم: «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، وليس بثابت عند أهل الحديث، وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له، وغلط في ذلك.

---

(١) «فتح الباري» ١٧/ ٤٥٤.

(٢) كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، ح(٢٦١٢).

قال المازري: وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث؛ فأجراه على ظاهره، وقال: لله تعالى صورة لا كالصور. وهذا الذي قاله ظاهر الفساد؛ لأن الصورة تفيد التركيب، وكل مركب محدَث، والله تعالى ليس بمحدَث؛ فليس هو مركَّباً ؛ فليس مصوَّراً.

قال: وهذا كقول المجسمة : جسم لا كالأجسام؛ لما رأوا أهل السنة يقولون : الباري -سبحانه وتعالى- شيء لا كالأشياء، طردوا الاستعمال فقالوا: جسم لا كالأجسام . والفرق: أن لفظ «شيء» لا يفيد الحدوث، ولا يتضمّن ما يقتضيه، وأما «جسم» و «صورة» فيتضمّنان التأليف والتركيب، وذلك دليل الحدوث.

قال: العجب من ابن قتيبة في قوله: صورة لا كالصور! مع أن ظاهر الحديث -على رأيه- يقتضي خلق آدم على صورته، فالصورتان على رأيه سواء، فإذا قال : لا كالصور: تناقض قوله.

ويقال له أيضاً: إن أردت بقولك: صورة لا كالصور: أنه ليس بمؤلَّف ولا مركَّب؛ فليس بصورة حقيقية، وليست اللفظة على ظاهرها، وحينئذ يكون موافقاً على افتقاره إلى التأويل.

واختلف العلماء في تأويله: فقالت طائفة: الضمير في «صورته» عائد على الأخ المضروب، وهذا ظاهر رواية مسلم. وقالت طائفة: يعود إلى آدم. وفيه ضعف. وقالت طائفة: يعود إلى الله تعالى، ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣]. وكما يقال في الكعبة: بيت الله، ونظائره. والله أعلم». اهـ[1].

ويقول ابن حجر تعليقاً، على هذا الحديث: «واختلف في الضمير على من يعود؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب؛ لما تقدم من

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٢٧).

الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها». اهـ[١].

ثم ذكر ابن حجر حديث أبي هريرة مرفوعا: «لا تقولَنّ: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته»[٢].

وقال: «وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك». اهـ[٣].

وقال الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات» بعد أن ساق ما ذكرناه من الأحاديث:

«وذهب بعض أهل النظر إلى أن الصور كلها لله تعالى، على معنى الملك والفعل، ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفاً

---

(١) «فتح الباري» ٥/ ١٨٣، ط. دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٧٢، ١٧٣) وأحمد ٢/ ٢٥١، ٤٣٤ من حديث أبي هريرة.

(٣) فتح الباري ٥/ ١٨٣.

وتكريماً، كما يقال: ناقة الله، و:بيت الله، و:مسجد الله، وعبّر بعضهم بأنه سبحانه ابتدأ صورة آدم لا على مثال سبق، ثم اخترع من بعده على مثاله؛ فخص بالإضافة. والله أعلم . وعلى هذا حملوا ما في الحديث .. عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، ويحتمل أن يكون لفظ الخبر في الأصل كما روينا في حديث أبي هريرة[1] فأدّاه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه». اهـ[2].

وقد روى ابن خزيمة هذا الحديث في كتاب «التوحيد»[3] له، وقال:

«وروى الثوري هذا الخبر مرسلاً غير لا مسند:

---

(١) الحديث السابق المورّد في «الفتح»، أي يكون لفظه كلفظه :«وعلى صورته».

(٢) «الأسماء والصفات»، باب ما ذكر في الصورة.

(٣) ١/ ٨٥، ط. مكتبة الرشد، ١٩٩٤.

حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان [الثوري] ، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، قال: قال رسول الله ﷺ .. [الحديث] . قال أبو بكر [بن خزيمة]: وقد افتتن بهذه اللفظة[1] التي في خبر عطاء عالَم ممن لم يتحرَّ العلم، وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات، فغلطوا في هذا غلطاً بيّناً ، وقالوا مقالة شنيعة مضاهية لقول المشبّهة. أعاذنا الله وكلَّ المسلمين من قولهم.

والذي عندي في تأويل هذا الخبر - إن صحّ من جهة النقل موصلاً؛ فإن في الخبر عللاً ثلاثاً:

إحداهن: إن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده؛ فأرسل الثوري، ولم يقل: عن ابن عمر.

---

(١) «على صورة الرحمن».

والثانية: أن الأعمش مدلس؛ لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس، لم يُعلم أنه سمعه من عطاء.

.. فإن صحّ هذا الخبر مسنداً.. فمعنى هذا الخبر – عندنا- أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه؛ لأن الخلق يضاف إلى الرحمن؛ إذ الله خلقه، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن؛ لأن الله صوّرها ..﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾[لقمان:١١] ..، ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾ [الاعراف:٧٣]...، فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين:

أحدهما: إضافة الذات.

والآخر: إضافة الخلق.

فتفهموا هذين المعنيين ولا تغالطوا!

فمعنى الخبر – إن صحّ من طريق النقل مسنداً –: فإن ابن آدم خُلق على الصورة التي خلقها الرحمن حين صوّر آدمَ..

والدليل على صحة هذا التأويل: أن أبا موسى محمد بن المثنى قال: حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، قال: حدثنا المغيرة – وهو ابن عبد الرحمن – عن أبي الزناد، عن موسى بن أبي عثمان، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيﷺ قال: «خلق اللهُ آدم على صورته، وطولِه ستون ذراعاً» ..[ورواه عن طريق آخر].

فصورة آدم ستون ذراعاً التي أخبر النبي أن آدم – عليه السلام خُلق عليها، لا على ما توهمّ بعض من لم يتحرَّ العلم .. إلخ»[1].

## أحاديث اليد واليمين ونحوهما

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه « فتح الباري » كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] :

---

(١) «التوحيد »١/ ٨٥-٩٤.

«واليد في اللغة تطلق لمعان كثيرة، اجتمع لنا منها خمسة وعشرون معنى ما بين حقيقة ومجاز:

**الأول**: الجارحة.

**الثاني**: القوة، نحو: ﴿دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾[ص:١٧]. [و]

**الثالث**: الملك: ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿[و]إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾[الحديد:٢٩].

**الرابع العهد**: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠] ومنه قوله: هذي يدي لك بالوفاء.

**الخامس**: الاستسلام والانقياد. قال الشاعر:

«أطاع يداً بالقود فهو ذَلولُ»[1]

**السادس**: النعمة، قال:

«وكم لظلام الليل عنديَ من يدِ»[2]

---

(١) انظر «مجمع الأمثال للميداني» (٢٢٨٧) ١/ ٤٣٣.

(٢) قاله المتنبي، وعجزه «تحقق أن المانوية تكذب»، ويروى: «عندك .. تخبر أن»، وأول قصيدته:

أُغالب فيك الشوق والشوق أغلبُ ... وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصل أعجبُ

السابع: الملك:[1] ﴿ قل إن الفضل بيد الله ﴾ [آل عمران:٧٣].

الثامن: الذل: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التوبة:٢٩].

التاسع: [الولاية][2]: ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧].

العاشر: السلطان.

الحادي عشر: الطاعة.

الثاني عشر: الجماعة.

الثالث عشر: الطريق، يقال: أخذتهم يد الساحل.

الرابع عشر: التفرق: «تفرقوا أيدي سبإ»[3].

---

(١) هذا تكرار للثالث، إلا إن قصد بأحد المُلكين: الحوز والانفراد بالتصوف، وبالثاني: التمليك. والله أعلم.

(٢) في الأصل بياض، وقدّرنا مكانه ما بين المعقوفين.

(٣) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١٤٥٤).

الخامس عشر: الحفظ.

السادس عشر: يد القوس: أعلاها.

السابع عشر: يد السيف: مقبضه.

الثامن عشر: يد الرحى: عود القابض.

التاسع عشر: جناح الطائر.

العشرون: المدة، يقال: لا ألقاه يد الدهر.

الحادي والعشرون: الابتداء، يقال: لقيته أول ذات يدي، وأعطاه عن ظهر يد.

الثاني والعشرون: يد الثوب: ما فضل منه.

الثالث والعشرون: يد الشيء: أمامه.

الرابع والعشرون: الطاقة.

الخامس والعشرون: النقد، نحو: بعته يداً بيد». اهـ[1].

---

(١) «فتح الباري» ١٣/ ٣٩٤.

١- روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:

«يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ »[١]. ورواه مسلم[٢].

وروى عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[٣].

وفي رواية له عن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ، قال: «يأخذ الله عز وجل سماواته وأَرَضِيْه بيديه فيقول: أنا الله – ويقبض أصابعه ويبسطها – أنا الملك » حتى

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٨١٢، ٦٥١٩، ٧٣٨٢).

(٢) الحديث (٢٧٨٧).

(٣) الحديث (٢٤) (٢٧٨٨).

نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟[1].

قال النووي في «شرح مسلم»:

قال العلماء: المراد بقوله: (يقبض أصابعه ويبسطها) النبي ﷺ؛ ولهذا قال: إن ابن مقسم نظر إلى ابن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ. وأما إطلاق اليدين لله تعالى فمتأوَّل على القدرة، وكنى عن ذلك باليدين؛ لأن أفعالنا تقع باليدين، فخوطبنا بما نفهمه؛ ليكون أوضح وأوكد في النفوس، وذكر اليمين والشمال حتى يتم المثال؛ لأنّا نتناول باليمين ما نكرمه، وبالشمال ما دونه، ولأن اليمين في حقنا يقوى لما لا يقوى له الشمال. ومعلوم أن السماوات أعظم من الأرض، فأضافها إلى اليمين، والأرضين إلى الشمال؛ ليظهر التقريب

---

(١) الحديث (٢٥) (٢٧٨٨).

في الاستعارة، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأن شيئاً أخف عليه من شيء، ولا أثقل من شيء. هذا مختصر كلام المازري في هذا.

قال القاضي: وفي هذا الحديث ثلاثة ألفاظ: يقبض، ويطوي، ويأخذ، كله بمعنى الجمع؛ لأن السماوات مبسوطة، والأرضين مدحوّة وممدودة، ثم يرجع ذلك إلى معنى الرفع والإزالة، وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات، فعاد كله إلى ضم بعضها إلى بعض، ورفعها، وتبديلها بغيرها.

قال: وقبض النبي ﷺ أصابعه وبسطها تمثيل لقبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها، وحكاية للمبسوط والمقبوض، وهو السماوات والأرضون، لا إشارة إلى القبض والبسط الذي هو صفة القابض والباسط، سبحانه وتعالى، ولا تمثيل لصفة الله تعالى السمعية المسماة باليد التي ليست بجارحة...

ثم قال: والله أعلم بمراد نبيه ﷺ فيما ورد في هذه الأحاديث من مشكل، ونحن نؤمن بالله تعالى وصفاته، ولا نشبه شيئاً به، ولا نشبهه بشيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] وما قاله رسول الله ﷺ وثبت عنه فهو حق وصدق، فما أدركنا علمه

فبفضل الله تعالى، وما خفي علينا آمنا به، ووكلنا علمه إليه سبحانه وتعالى، وحملنا لفظه على ما احتمل في لسان العرب الذي خوطبنا به، ولم نقطع على أحد معنييه بعد تنزيهه سبحانه عن ظاهره الذي لا يليق به سبحانه وتعالى. وبالله التوفيق» اهـ[1].

٢- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجمع المؤمنون يوم القيامة»...» إلى أن قال: «فيأتون آدم، فيقولون له: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك الملائكة.... » الحديث[2].

٣- عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى -عليهما السلام- عند ربهما، فحج آدم موسى؛ قال موسى:

---

(١) من «شرح» النووي على «صحيح» مسلم، كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، ح (٢٧٨٧، ٢٧٨٨)، ١٧/ ١٣١-١٣٣، ط. دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

(٢) البخاري: (٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٥١٦- وهو لفظه هنا-)، ومسلم (١٩٣).

أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته...» الحديث[١].

٤- عن أبي هريرة ﷺ قال: عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم، يا موسى! اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، ....» الحديث[٢].

٥- عن المغيرة بن شعبة يرفعه قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟...» الحديث، وفيه: «قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها.... » الحديث[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٥) (٢٦٥٢).

(٢) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (١٣) (٢٦٥٢).

(٣) رواه مسلم (١٨٩)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

يقول الإمام ابن حجر في «فتح الباري» عند شرحه للحديث رقم ( ٦٦١٤ ):

«.... وإضافة الله خلق آدم إلى يده في الآية إضافة تشريف، وكذا إضافة روحه إلى الله» اهـ.

ويقول النووي في «شرحه» لصحيح مسلم عند شرحه لحديث (احتج آدم وموسى..) رقم (٢٦٥٢): «قوله: (اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ) في اليد هنا المذهبان السابقان.... أحدهما: الإيمان بها ولا يتعرض لتأويلها، مع أن ظاهرها غير مراد. والثاني: تأويلها على القدرة. ومعنى اصطفاك: أي: اختصك وآثرك بذلك».

ويقول النووي -أيضاً- عند شرحه لحديث (سأل موسى ربه...) الحديث رقم (١٨٩) من «صحيح» مسلم:

«.... وأما (غرست كرامتهم بيدي..) إلى آخره فمعناه: اصطفيتهم وتولَّيتهم؛ فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير» اهـ. المقصود منه.

## حديث الأصابع

١ - عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! أو يا أبا القاسم! إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] [الزمر:٦٧].

ونقل ابن حجر في «فتح الباري» عن الإمام علي بن خلف بن بطال شارح «صحيح» البخاري: «لا يحمل ذكر الإصبع على

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح (٢٧٨٦). البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٥١٣).

الجارحة، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات، لا تكيّف ولا تحدد، وهذا ينسب للأشعري. وعن ابن فورك: يجوز أن يكون الإصبع خلقاً يخلقه الله فيحمله الله ما يحمل الإصبع، ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان كقول القائل: ما فلان إلا بين إصبعي: إذا أراد الإخبار عن قدرته عليه..».

إلى أن قال: «وحاصل الخبر أنه ذكر المخلوقات، وأخبر عن قدرة الله على جميعها، فضحك النبي ﷺ تصديقاً له وتعجباً من كونه يستعظم ذلك في قدرة الله تعالى، وإن ذلك ليس في جنب ما يقدر عليه بعظيم؛ ولذلك قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية [الزمر:٦٧]، أي: ليس قدره في القدرة على ما يخلق على الحد الذي ينتهي إليه الوهم ويحيط به الحصر؛ لأنه تعالى يقدر على إمساك مخلوقاته على غير شيء كما هي اليوم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]، وقال: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد:٢].

ثم قال ابن حجر: «وقال الخطابي: لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديث مقطوع به، وقد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيف أطلقه الشارع، فلا يكيَّف ولا يشبه، ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي؛ فإن اليهود مشبهة، وفيما يدعونه من التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه، ولا تدخل في مذاهب المسلمين. وأما ضحكهﷺ من قول الحبر: فيحتمل الرضا والإنكار.

وأما قول الراوي: (تصديقاً له): فظنٌّ منه وحُسبان، وقد جاء الحديث من عدة طرق ليس فيها هذه الزيادة. وعلى تقدير صحتها: فقد يستدل بحمرة الوجه على الخجل، وبصفرته على الوجل، ويكون الأمر بخلاف ذلك؛ فقد تكون الحمرة لأمر حدث في البدن -كثوران الدم- والصفرة لثوران خلط من مرار وغيره. وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظاً: فهو محمول على تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] أي: قدرته على طيها

وسهولة الأمر عليه في جمعها بمنزلةِ مَن جمع شيئاً في كفه واستقل بحمله من غير أن يجمع كفه عليه، بل يقلّه ببعض أصابعه. وقد جرى في أمثالهم: فلان يقل كذا بإصبعه ويعمله بخنصره. انتهى ملخصاً»[1].

**قال الإمام النووي في «شرحه» على «صحيح» مسلم:**

«قوله: (إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع)، إلى قوله: (ثم يهزهن): هذا من أحاديث الصفات، وقد سبق فيها المذهبان: التأويل، والإمساك عنه مع الإيمان بها، مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد. فعلى قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار، أي خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل، والناس يذكرون الإصبع في مثل هذا للمبالغة والاحتقار، فيقول أحدهم: بإصبعي أقتل زيداً، أي: لا كلفة عليّ في قتله. وقيل: يحتمل

---

(١) «فتح الباري» ١٣/ ٣٩٨.

أن المراد أصابع بعض مخلوقاته. وهذا غير ممتنع، والمقصود أن يد الجارحة مستحيلة.

قوله: (فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]: ظاهر الحديث أن النبي ﷺ صدق الحبر في قوله: إن الله تعالى يقبض السماوات والأرضين والمخلوقات بالأصابع، ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول. قال القاضي: وقال بعض المتكلمين: ليس ضحكه ﷺ وتعجبه وتلاوته للآية تصديقاً للحبر، بل هو رد لقوله، وإنكار وتعجب من سوء اعتقاده؛ فإن مذهب اليهود التجسيم، ففهم منه ذلك. وقوله: (تصديقاً له) إنما هو من كلام الراوي على ما فهم، والأول أظهر»[1].

---

(١) «شرح مسلم» للنووي ١٧/ ١٢٩-١٣١، ح (٢٧٨٦).

٢- أخرج مسلم في «صحيحه»[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مُصرِّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث:

«هذا من أحاديث الصفات، وفيها القولان السابقان قريباً:

أحدهما: الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى، بل يؤمن بأنها حق، وأن ظاهرها غير مراد، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

والثاني: يتأول بحسب ما يليق بها، فعلى هذا: المراد المجاز، كما يقال: فلان في قبضتي و: في كفي، لا يراد به أنه حالٌّ في كفه، بل المراد:

---

(١) في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ح (٢٦٥٤).

تحت قدرتي. ويقال: فلان بين أُصْبُعَيّ أقلبه كيف شئت. أي: أنّه مني على قهره والتصرف فيه كيف شِئْتُ.

فمعنى الحديث: أنه -سبحانه وتعالى- متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء، لا يمتنع عليه منها شيء، ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين إصبعيه، فخاطب العرب بما يفهمونه، ومثّله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم.

فإن قيل: فقدرة الله تعالى واحدة، والأصبعان للتثنية.

فالجواب: أنه قد سبق أن هذا مجاز واستعارة، فوقع التمثيل بحسب ما اعتادوه غير مقصود به التثنية والجمع. والله أعلم» اهـ[1].

---

(١) «شرح مسلم» ١٦/ ٢٠٤.

## أحاديث الساق والقدم والرجل

١- روى مسلم في «صحيحه»[1] عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ ...» إلى أن قال: «فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود....» الحديث.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث عند قوله ﷺ: «فيكشف عن ساق»:

ضبط (يكشف) بفتح الياء وضمها، وهما صحيحان.

وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي: يكشف عن شدة وأمر مهول، وهذا مَثَل تضربه العرب لشدة الأمر؛ ولهذا يقولون: قامت الحرب على ساق. وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمّر ساعده، وكشف عن ساقه؛ للاهتمام به.

---

(١) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح(١٨٣).

قال القاضي عياض رحمه الله: وقيل: المراد بالساق هنا نور عظيم، وورد ذلك في حديث عن النبي ﷺ. قال ابن فورك: ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف.

قال القاضي عياض: وقيل: قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقه عظيمة؛ لأنه يقال: ساق من الناس، كما يقال: رِجل من جراد. وقيل: قد يكون ساق مخلوقاً جعله الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السُّوق المعتادة. وقيل: معناه كشف الخوف وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على قلوبهم من الأهوال، فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ، ويتجلى لهم فيخرُّون سجّداً» اهـ[1].

وروى الحديث البخاري في «صحيحه»[2] عن أبي سعيد الخدري قال: «قلنا يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟...» إلى أن قال ﷺ:

---

(١) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٤٠١) ح ١٨٣.

(٢) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضره إلى ربها ناظرة﴾، ح(٧٤٣٩).

«فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن....» الحديث.

قال ابن حجر في «فتح الباري» في شرحه لهذا الحديث:

«قال [ابن بطال]: وأما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]، قال: عن شدة من الأمر، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق: إذا اشتدت. ومنه:

قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسيرها: عن نور عظيم. قال ابن فورك: معناه ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف.

وقال المهلب: كشف الساق للمؤمنين رحمة، ولغيرهم نقمة.

وقال الخطابي: تهيَّب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق.

ومعنى قول ابن عباس: أن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة، وأسند البيهقي[1] الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل

---

(١) في «الأسماء والصفات» باب ما ذكر في الساق.

منها حسن، وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر. وذَكَر الرجز المشار إليه. وأنشد الخطابي في إطلاق الساق على الأمر الشديد:

في سنة قد كشفت عن ساقها

وأسند البيهقي من وجه آخر صحيح عن ابن عباس قال: يريد يوم القيامة. قال الخطابي: وقد يطلق ويراد النفس»اهـ[1].

٢-روى مسلم في «صحيحه»[2] عن أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ...» إلى أن قال: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله، تقول: قَطْ قط قط، فهنالك النار تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض ....» الحديث.

---

(١) «فتح الباري» ١٣/ ٤٢٨، ح(٧٤٣٩).

(٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح (٢٨٤٦).

وفي روايـة أخرى: عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تـزال جهـنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فـيها قدمـه؛ فينـزوي بعـضها إلى بعـض وتقـول: قَـطْ قـط بعزتك وكرمك ....» الحديث[1].

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» على هذا الحديثين:

«قـوله ﷺ: (فأمـا الـنار فـلا تمتلـئ حتـى يضع الله تبارك وتعالى رجلـه). وفي الـرواية التـي بعـدها: (لا تـزال جهـنم تقول: هل من مـزيد؟ حتـى يـضع فـيها رب العـزة تبارك وتعالى قدمه فتقول: قط قط)، وفي الرواية الأولى: (فيضع قدمه عليها).

هـذا الحـديث مـن مـشاهير أحاديث الصفات، وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين:

---

(١) «صحيح مسلم»، الكتاب والباب السابقان ح (٢٨٤٨).

أحدهما، وهو قول جمهور السلف، وطائفة من المتكلمين: أنه لا يُتكلم في تأويلها، بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله، ولها معنى يليق بها، وظاهرها غير مراد.

والثاني، وهو قول جمهور المتكلمين: أنها تُتأول بحسب ما يليق بها. فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث:

فقيل: المراد بالقدم هنا: المتقدم، وهو شائع في اللغة، ومعناه: حتى يضع الله تعالى فيها من قدَّمه لها مَن أهل العذاب.

قال المازري والقاضي: هذا تأويل النضر بن شميل، ونحوه عن ابن الأعرابي.

الثاني: أن المراد: قَدَم بعض المخلوقين، فيعود الضمير في (قدمه) إلى ذلك المخلوق المعلوم.

الثالث: أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية.

وأما الرواية التي فيها (يضع الله فيها رجله): فقد زعم الإمام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل! ولكن قد رواها مسلم وغيره؛ فهي صحيحة، وتأويلها كما سبق في القدم.

ويجوز أيضاً أن يراد بالرِّجل الجماعة من الناس، كما يقال: رجل من جراد، أي: قطعة منه.

قال القاضي: أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوها وخُلقوا لها.

قالوا: ولا بد من صرفه عن ظاهره؛ لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى» اهـ[1].

وروى حديث أنس البخاريُّ في «صحيحه»[2] عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه؛ فتقول: قط قط».

وروى حديث أبي هريرة: «تحاجت الجنة والنار ...» إلى أن قال: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رِجْله فتقول: قط قط ...» الحديث[3].

---

(١) النووي شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٨٢-١٨٣، ح (٢٨٤٦، ٢٨٤٨).

(٢) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

(٣) السابق، ح (٤٨٥٠).

قال ابن حجر في «فتح الباري» في شرحه لهذا الحديث:

واختلف في المراد بالقدم:

فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة؛ وهو أن تمرّ كما جاءت، ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله.

وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك، فقال: المراد إذلال جهنم؛ فإنها إذا بالغت في الطغيان وطلب المزيد أذلها الله فوضعها تحت القدم، وليس المراد حقيقة القدم.

والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها؛ كقولهم: رغم أنفه، وسقط في يده.

وقيل: المراد بالقدم الفرط السابق، أي: يضع الله فيها ما قدَّمه لها من أهل العذاب. قال الإسماعيلي: القدم قد يكون اسماً لما قدِّم كما يسمى ما خُبط من وَرَق خبطاً. فالمعنى: ما قدموا من عمل.

وقيل: المراد بالقدم قدم بعض المخلوقين، فالضمير للمخلوق معلوم، أو يكون هناك مخلوق اسمه قدم، أو المراد بالقدم الأخير؛

لأن القدم آخر الأعضاء؛ فيكون المعنى: حتى يضع الله في النار آخر أهلها فيها، ويكون الضمير للمزيد.

وقال ابن حبان في «صحيحه»[1] بعد إخراجه: هذا من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة؛ وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عُصي الله فيها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب فيها موضعاً من الأمكنة المذكورة، فتمتلئ؛ لأن العرب تطلق القدم على الموضع، قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾[يونس: ٢]: يريد موضع صدق. [اهـ].

وقال الداودي: المراد بالقدم قدم صدق، وهو محمد، والإشارة بذلك إلى شفاعته، وهو المقام المحمود، فيخرج من النار مَن كان في قلبه شيء من الإيمان.

---

(١) كتاب الإيمان، باب ما جاء في الصفات، ح (٢٦٨).

وتعقّب بأن هذا منابذ لنص الحديث؛ لأن فيه (يضع قدمه) بعد أن قالت: (هل من مزيد؟)، والذي قاله مقتضاه أنه ينقص منها، وصريح الخبر أنها تنزوي بما يجعل فيها لا بما يخرج منها.

قلت: ويحتمل أن يوجه بأن من يخرج منها يبدل عوضهم من أهل الكفر كما حملوا عليه حديث أبي موسى في «صحيح» مسلم[1]: «يعطي كل مسلم رجلاً من اليهود والنصارى فيقال: هذا فداؤك من النار»، فإن بعض العلماء قال: المراد بذلك أنه يقع عند إخراج الموحدين، وأنه يجعل مكان كل واحد منهم واحداً من الكفار؛ بأن يعظم حتى يسدّ مكانه ومكان الذي خرج، وحينئذ فالقدم سبب للعظم المذكور، فإذا قع العظم حصل الملء الذي تطلبه...».

ثم قال: «وقال أبو الوفاء بن عقيل: تعالى الله عن أنه لا يعمل أمره في النار حتى يستعين عليها بشيء من ذاته أو صفاته وهو القائل

---

(١) الحديث (٢٧٦٧).

للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾[الأنبياء: ٦٩]، فمن يأمر ناراً أججها غيره أن تنقلب عن طبعها - وهو الإحراق- فتنقلب كيف يحتاج في نار يؤججها هو إلى استعانة؟ انتهى»[1].

(١) «فتح الباري» ٨/ ٥٩٦-٥٩٧.

## الثاني: أحاديث توهم الحركة والانتقال

### حديث النزول:

١- روى الإمام مسلم في «صحيحه»[1] عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له ....» الحديث.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

«هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما ..، ومختصرهما:

---

(١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ح (٧٥٨)، ورواه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ح (١١٤٥)، وانظر (٦٣٢١، ٧٤٩٤).

أن أحدهما - وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين- أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ، ولا يتكلم في تأويلها، مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف، وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي: أنها تُتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها. فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين:

أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره؛ معناه: تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا: إذا فعله أتباعه بأمره.

والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف. والله أعلم.» اهـ[1].

---

(١) «شرح مسلم» للنووي ٦/ ٣٧، ح(٧٥٨).

وعبارة الإمام مالك: «يتنزل ربنا – تبارك وتعالى – أمره، فأما هو فدائم لا يزول». اهـ[1].

وقال ابن حجر في «فتح الباري»:

«استدل به من أثبت الجهة، وقال: هي جهة العلو. وأنكر ذلك الجمهور؛ لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك.

وقد اختلف في معنى النزول على أقوال؛ فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبّهة، تعالى الله عن قولهم...».

إلى أن قال: «ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال، منزّهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه، وهم جمهور السلف.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٨/ ١٠٥، وبعده فيه: «قال صالح – رواية عن حبيب بن أبي حبيب –: فذكرت ذلك ليحيى بن بكير فقال: حسن والله! ولم أسمعه من مالك». وانظر «التمهيد» لابن عبد البر ٧/ ١٤٣.

ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة، والسفيانين [سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة]، والحمّادين [حماد بن زيد، وحماد بن سلمة]، والأوزاعي، والليث، وغيرهم ....».

إلى أن قال: «ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب، وبين ما يكون بعيداً مهجوراً؛ فأوَّل في بعض، وفوَّض في بعض، وهو منقول عن مالك، وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.

قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف، والسكوت عن المراد، إلا أن يرد ذلك عن الصادق؛ فيصار إليه...».

إلى أن قال: «وقال ابن العربي: حكي عن المبتدعة رد هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها، وبه أقول.

فأما قوله: (ينزل): فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي: فتلك

صفة المَلَك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي، بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة. انتهى.

والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى: ينزل أمره، أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. اهـ[1].

ويقول الإمام الحافظ ابن حزم في شرحه النزول الوارد في هذا الحديث:

«وهذا إنما هو فعل يفعله الله تعالى في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء، وإن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين، وهذا معهود في اللغة؛ تقول: نزل فلان عن حقه، بمعنى وهبه لي وتطوَّل به عليَّ. ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات: أن رسول الله ﷺ علَّق التنزُّل

---

(١) فتح الباري ٣/ ٣٠، ح(١١٤٥).

المذكور بوقت محدود؛ فصحَّ أنه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذ. وقد علمْنا أن ما لم يزل فليس متعلقاً بزمان البتة. وقد بيَّن رسول الله ﷺ في بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل؛ وهو أنه ذكر -عليه السلام- أن الله يأمر ملكاً ينادي في ذلك الوقت بذلك. وأيضاً فإن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يَعلم ذلك ضرورة مَن بحث عنه؛ فصح ضرورةً أنه فعل يفعله ربنا تبارك وتعالى في ذلك الوقت لأهل كل أفق. اهـ[1].

وقال الحافظ ابن حيان في «صحيحه»[2] عقب روايته لحديث النزول: «ينزل بلا آلة ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان» اهـ.

روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة ﷺ: أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟.... وفيه: «فيأتيهم الله تبارك وتعالى...» الحديث[3].

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ٢/ ١٥٢ وما بعدها.

(٢) ٢/ ١٣٦، ح(٩٢٠).

(٣) سبق تخريجه ص٧ .

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث بعد أن أشار إلى قولَيْ أهل العلم في أحاديث وآيات الصفات: التفويض مع التنزيه، التأويل على ما يليق بها- «فعلى هذا المذهب – يقصد التأويل – يقال في قوله ﷺ: (فيأتيهم الله): إن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه؛ لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان، فعبَّر بالإتيان و المجيء هنا عن الرؤية مجازاً. و قيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتياناً. وقيل: المراد بـ (يأتيهم الله) أي: يأتيهم بعض ملائكة الله.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الوجه أشبه عندي بالحديث.

قال: ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق.

قال: أو يكون معناه: (يأتيهم الله في صورة) أي: يأتيهم بصورة، ويُظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم، وهذا آخر امتحان المؤمنين، فإذا قال لهم هذا الملك، أو

هذه الصورة: أنا ربكم؛ رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه؛ ويعلمون أنه ليس ربهم، ويستعيذون بالله منه. اهـ[1].

وقال ابن حجر في «فتح الباري»[2] نحو كلام النووي.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي ٣/ ١٩-٢٠.

(٢) ١١/ ٤٥٠-٤٥١.

## الثالث: أحاديث توهم الانفعالات النفسية

١ - روى مسلم في «صحيحه»[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود... وفيه قول النبي ﷺ: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».

قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

«قوله ﷺ: (عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة):

قال القاضي: المراد بالعجب من الله رضاه ذلك.

قال: وقد يكون المراد: عجبت ملائكة الله، وأضافه إليه سبحانه وتعالى تشريفاً» اهـ[٢].

ورواه البخاري في «صحيحه» في موضعين[٣]، وعنده: «ضحك الله الليلة -أو عجب- من فعالكما»، فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ

---

(١) كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ح (٢٠٥٤).

(٢) «شرح» النووي على مسلم ١٤/ ١٣.

(٣) كتاب المناقب، باب قول الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ح(٣٧٩٨). وكتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، ح (٤٨٨٩).

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث[١]:

«ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية، والمراد بهما الرضا بصنيعهما» اهـ[٢].

وقال:[٣] «قال الخطابي: إطلاق العَجَب على الله محال، ومعناه الرضا، فكأنه قال: إن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم. قال: وقد يكون المراد بالعجب هنا أن الله يُعجِّب ملائكته من صنيعهما لنُدُور ما وقع منهما في العادة. قال: وقال أبو عبد الله[٤]: «معنى الضحك هنا الرحمة».

قلت: «ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري.

---

(١) الحديث (٣٧٩٨).
(٢) «فتح الباري» ٧/ ١٢٠.
(٣) الحديث (٤٨٨٩).
(٤) أي: البخاري.

قال الخطابي: وتأويل الضحك بالرضا أقرب من تأويله بالرحمة؛ لأن الضحك من الكرام يدل على الرضا فإنهم يوصفون بالبِشْر عند السؤال».

قلت: «الرضا من الله يستلزم الرحمة وهو لازمه. والله أعلم». اهـ[1].

٢- روى الإمام مسلم في «صحيحه»[2] عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ:

«..... والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة.... » الحديث.

قال النووي في شرحه على هذا الحديث عند قوله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده ...»:

---

(١) «فتح الباري» ٨/ ٦٣٢-٦٣٣.

(٢) كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها. ح(٢٦٧٥).

«قال العلماء: فرح الله تعالى هو رضاه. و قال المازري: الفرح ينقسم على وجوه: منها السرور، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به. قال: فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة، فعبَّر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره. اهـ»[1].

والحديث طويل في الباب، وفيما قلنا وأوردنا الكفاية لمن طلبها صادقاً، ونسأل الله الهداية ودوامها وحفظها لنا ولإخواننا.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) «شرح مسلم» للنووي ١٧/ ٦١.

سلسلة مفاهيم يجب أن تصحح

## هذه المفاهيم

هذه السلسلة نبدأ فيها باستعراض مفاهيم جمهور الأمة المعصومة حول بعض النقاط أو الموضوعات، وكيف بنى الجمهور هذه المفاهيم واستمدها من نصوص الكتاب والسنة متدبراً لهما بالعقل الراجح الصحيح جيلاً بعد جيل ناقلاً لنا هذه المفاهيم مع نصوص الكتاب والسنة منقياً لمفاهيمه من الأهواء والنزغات، فكان بحق معبراً عن خير أمة أخرجت للناس حفظ الله بها الدين﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾. لعل هذه السلسلة تكون بشير خير لمن يريد مراجعة مفاهيمه على ضوء الكتاب والسنة مستعيناً بإخوانه فإن يد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية والشاردة والشاذة.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دار الرازي
للطباعة والنشر والتوزيع

عمان - العبدلي - عمارة البنك الإسلامي
هاتف 4646116 - 6 - 00962 فاكس 4646106 - 6 - 00962
ص.ب 927601 عمان 11190 الأردن
e-mail: alrazi003@yahoo.com
www.al-razi.net